20080416-0006A-A

السفير
www.assafir.com جريدة السفير @2008

الصفحة الأولى
تاريخ العدد ٢٠٠٨/٠٤/١٦ العدد ١٠٩٧٥

خندق حالات يُشق ويُطمر
...وملف «المقبرة الجماعية» يظل مفتوحاً

جهاد بزي

طُمر «خندق حالات» ولم يُغلق ملف المقبرة الجماعية المحتملة في منتصف الاوتوستراد الشمالي. على هذه الخاتمة، مضى النهار الطويل من البحث عن رفات قتلى، ومن نبش للطريق وللتاريخ العوني ـ القواتي الدامي كما للحاضر المتأزم سياسياً بينهما .

ما الذي حدث؟

عند الثالثة من عصر أمس، أعطت قوى الأمن الداخلي الأمر للحفارّة بإيقاف الحفر في منتصف الاوتوستراد في حالات. كانت هذه قد شقت، طوال ثماني ساعات، ما يشبه الخندق بين عمودي إضاءة في منتصف الاوتوستراد بطول نحو سبعين متراً وعرض متر وعمق مترين. في المحصلة، استنتجت القوى الامنية بأن لا «مقبرة جماعية» في حالات. وعليه، تحركت جرافة لتطمر الخندق، وبالاعتماد على «خبرة» رجال الدرك وضابطهم النقيب، ومن دون وجود أي خبير، ولكن تحت أنظار اعلاميين ومراقبين منهم، غازي عاد رئيس منظمة «سوليد»، نائب «التيار الوطني الحر» شامل موزايا ...و«متفرجين .«

وبناء على «عدم وجود المقبرة»، صدر قرار من المدعي العام الاستئنافي غسان عويدات بإيقاف الشهود الثلاثة (ج.غ، م.ر، ج. أ) «لإدلائهم بمعلومات غير مطابقة للواقع قبل إطلاق سراحهم .«

حين تحركت الجرافة لتردم الحفرة، تعلق بشوكتها الحديدية العملاقة شابان من «سوليد»، هما طوني اوريون وهادي سعد، مناصران للتيار ايضاً، وفرضا إيقافها عن العمل. بعد قليل وصل العقيد انطوان بستاني قائد سرية جونيه

وتفاوض مع عاد، قبل ان يوافق على ايقاف الردم، اي ابقاء الحال على ما هو عليه. وغادرت الحفارة والجرافة. ومساء، تفاوض مسؤول في التيار مع بستاني اتُفق على تخلية سبيل الشهود الثلاثة، وردم الحفرة، تسهيلا لمرور السيارات على أن يستكمل التحقيق بحضور الشاهد الرئيسي في القضية وهو سائق الحفارة الذي اكتشف الجثث البشرية في العام ٢٠٠٢، وأبلغ المتعهد المسؤول عنه، كما اخبر الشهود الثلاثة بما رأى، قبل ان يطمر الجثث بأمر من متعهده. وتردد ان السائق موجود في قطر .

لم تكتشف المقبرة الجماعية إذاً، لكن لم يثبت عدم وجودها. هذه القضية بدأت الخميس الماضي حين نشرت الزميلة منال شعيا تحقيقاً في «النهار» تحدث خلاله احد الشهود عما قاله له السائق. وبحسب شعيا، فالمكان هو العمود المقابل لمبنى «انفرا روج».

وبناء على تحقيق شعيا اشارت النيابة العامة الى قوى الامن المباشرة بالبحث .

القضية سياسية. لكن، عملية الحفر حصلت بخفة جليّة. فبعدما حفرت، عند العمود الاول، حفرة عميقة وعريضة، ازيل معها الحاجز الباطوني الفاصل بين جهتي الاوتوستراد، تابعت الحفارة عملها وفق خط مستقيم لم يزد عرضه عن متر، وعلى جهة واحدة من الطريق، وضمن عمق اقل من مترين وهذا العمق كان كافياً فقط لإبراز طبقات هي البنية التحتية للطريق اضافة الى بضعة اشبار من تراب الارض. وبين نقطتين، وعلى خط مستقيم كهذا، بدا البحث بمثابة رفع عتب. فالشاهد الاول، ثم الشاهدان الاضافيان لم يشيروا الى نقطة محددة على عرض الطريق بين عمودي الانارة، وابناء المنطقة يقولون إن الطريق قبل ان تربط بالاوتوستراد الحالي، كانت تتجه نزولاً، وقد ردمت بكميات كبيرة من التراب ارتفعت امتارا حتى صارت بالعلو المطلوب، مما يعني ان البحث يجب ان يتم في العمق ايضاً .

20010416-00086-A

غازي عاد كرر لفظ «مسخرة» عشرات المرات، وهو يصف المشهد أمامه. سأل عن سبب غياب المنظمات الدولية والصليب الأحمر الدولي والجيش اللبناني، بينما قوى الامن تحفر من دون احترام الاصول المتبعة في الحفر.

هذا الخلل في العمل، اضافة الى اتخاذ القرار بالطمر بهذه السرعة، ثم مذكرات التوقيف التي صدرت بحق الشهود الثلاثة، جعلت المتحمسين لاحتمال وجود المقبرة يشعرون أن ما يحدث هو مؤامرة لإغلاق الملف. هؤلاء مناصرون للتيار الوطني الحر. وهم تحدثوا عن الضغوط الهائلة التي مورست على الشاهد، والتهديدات التي تعرض لها كي يغير افادته، كما أفادوا عن تنسيق «ممتاز» بين قواتيين معروفين هنا، و....

هذا في ما حدث، ومعظمه تقني. اما في المقلب الآخر، فان المقبرة سياسية، فرئيس الهيئة التنفيذية في القوات اللبنانية سمير جعجع نفى وجود المقبرة، والنائبان ستريدا جعجع وايلي كيروز اصدرا بياناً «أسفا فيه لسقوط عون عن قصر نظر او عن قصد في فخ المعلومات المغلوطة متوسلاً اسلوباً رخيصاً في تعمية الرأي العام وإثارة أحقاد مجانية لا تمت الى الواقع بصلة وتسهم أكثر فأكثر في شرذمة الساحة المسيحية.»

اما عضو تكتل التغيير النائب عباس هاشم، فقال بعدما زار المكان: «فوجئنا بمؤتمر صحافي لأحدهم اليوم يقول ما معناه ان هذه الأماكن لا تحوي أياً من الجثث، وبالتالي، ومع ان احدا لم يوجه اليه الاتهام، أحس بهذا الشيء بمكنونه نتيجة خبرته السابقة في بعض المجالات». وأضاف: «لا شك فيه ان هناك العديد من المقابر الجماعية وتحديداً في قضاء جبيل، والكل يعلم ذلك، كان الحري بقوى الأمر الواقع ان تنطلق بانطلاقة شبه انسانية وتقر بمكان وجود هذه المقابر.»

المقبرة سياسية. وأمس، نبشت جرافة «حرب الإلغاء». في النقطة التي انتهى عندها الحفر، كانت بداية مطار حالات الشهير. هذا المطار ظل في عهدة الجيش اللبناني حتى سيطرت عليه القوات اللبنانية بعد إخلائه اثر معركة القليعات، في اواخر آذار ١٩٩٠. مناصرون من التيار يقولون إن الجثث ربما تعود الى جنود في الجيش سقطوا في المعركة. التيار يصر على حفر المكان، والقوات ترفض. وبين الفريقين، يمر الناس ويسألون عما يحدث. ويجفل الجميع حين يسمعون التعبير المخيف: مقبرة جماعية.